الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية

د. عباس رحيم عزيز

مادة الأدب الجاهلي

المحاضرة الرابعة عشرة

قضية الانتحال:

 يوجد تقارب في بعض المفردات التي تتعلق بقضية الانتحال أو تقترب منها إذا صح التعريف ومنها النحل والانتحال والوضع، وما يمنها في هذا المقام هو الانتحال ومعناه: يقال انتحل فلان من شعر فلان أي ادعاه وهو لغيره بمعنى دقيق أن ادعى إن هذا الشعر من صنيعه والأصح في قضية التشكيك في الشعر الجاهلي أن ننعته بالوضع لأنه وحسب يقال في هذه القضية انه تم وضع الشعر وألف في العصر الإسلامي ثم نسبه إلى شعراء العصر الجاهلي.

أراء النقاد القدامى في قضية الانتحال:

 إن من اهم النقاد القدامى في هذا الجانب محمد بن سلام الجمحي فقد دون في كتابه طبقات الشعراء كثيرا من ملاحظات أهل العلم والدراية في رواية الشعر القديم وأضاف إلى ذلك كثيرا من ملاحظاته الشخصية، وقد رد مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي إلى عاملين:

**الأول:** تزيد القبائل في شعر شعرائها كما فعلت قبيلة قريش لأنها لاحظت أن حظها من الشعر قليل قورن بالقبائل الأخرى يقول في ذلك: (لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومأثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم فزادوا في الأشعار)، وقد أشار ابن سلام مرارا إلى ما زادته القبائل في شعر شعرائهم مبينا ما أضافه القرشيون في شعر شعرائهم، فذكر ما حمل على حسان بن ثابت، وما أضافه أبناء الشعراء وأحفادهم، كما فعل داود بن متمم بن نويرة الذي استنشده أبو عبيدة شعر أبيه متمم، غير انه حين نفذ شعر أبيه راح يزيد في الأشعار ويضعها، علم أبو عبيدة انه يفتعلها.

**الثاني:** زيادة الرواة فقد لاحظ ابن سلام أن كثيرا من الرواة قد حملوا شعرا مصنوعا أو انهم كانوا يصنعون الأشعار وينسبونها إلى شعراء جاهليين وقد قسم هؤلاء إلى قسمين:

**القسم الأول:** قسم متخصص برواة الشعر كحماد الرواية الذي قيل عنه انه وضع شعرا كثيرا على ألسنة الشعراء الجاهليين لمعرفته بطرائق الشعراء ومذاهبهم.

**القسم الثاني:** رواة الأخبار والسير والقصص حملوا شعرا كثيرا مصنوعا من مثل ابن إسحاق راوي السيرة النبوية، رفض ولم يقبل ابن سلام منهم إذ لم يكن لهم علم بالشعر.

ابن سلام فتح الطريق أمام النقاد لجرح الرواة ورد المنحول ومعرفة الحق من الباطل، فأنه كذلك حذر الباحثين ونبههم إلى أن: (ما اتفقوا عليه، فليس لاحد أن يخرج منه) وتمثل موقفه النقدي في تراجمه لكثير من الشعراء الذين صنفهم في طبقات فكان يرجع إلى أشعارهم ويصحح عدد من قصائهم ويوثقها كما انه كان يشير إلى وضع أشعار بعض هؤلاء كما فعل في ترجمته لحسان بن ثابت رضي الله عنه وأمية بن أبي الصلت وبعض أشعار طرفة بن العبد.

 لم يكن ابن سلام وحده من نبه إلى فساد الشعر الذي حمل عن طريق الرواة المتهمين، شاركه في ذلك عدد من العلماء الأجلاء أمثال المفضل والضميد والأصمعي وابن هشام.

 ابن هشام عمل على تعقب ابن إسحاق راوي السيرة النبوية، ونقد الشعر وبين الفاسد الموضوع وأسقطه، وأوضح نقد العلماء له، وذكر الروايات الصحيحة ممهدا الطريق أمام ابن سلام فاتحا له منافذ المسألة الشائكة، مما جعل ابن إسحاق يقر بفساد روايته للشعر، فيعتذر عن ذلك ويقول (لا علم لي بالشعر، أوتي به فاحمله)

 أما ابن النديم فقد تعقب ابن إسحاق ونقده، فهو يقول (كان يعمل له الأشعار ويؤتي بها، ويسأل أن يدخلها في كتابه السيرة، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحه عند رواة الشعر).

وان أبا فرج الأصفهاني قد رفض روايات ابن الكلبي عند دريد بن الصمة وبعض أشعاره، منبها إلى أنها تكاد تكون بجملتها ملفقه مكذوبه.

هؤلاء العلماء الإثبات وقفوا بالمرصاد للرواة المتهمين الوضاعين، وبينوا الشعر الفاسد المصنوع، كما وثقوا الشعر الصحيح، وجرحوا الرواة الوضاعين، وأكدوا على أن لا يتخذ القليل الفاسد وسيلة لاتهام الشعر الجاهلي والمغالاة في تقدير المنحول والمبالغة فيه.

المستشرقون وانتحال الشعر الجاهلي

 الآن نريد أن نشير إلى آراء المستشرقين حول هذه القضية، لان هذه القضية قد أثيرت في العصر الحديث وتناولها المستشرقون في كتبهم ومقالاتهم المتعددة.

 أول من تناول قضية الانتحال من المستشرقين هو المستشرق نولدكه سنة 1864م، وبعد ثماني سنين تطرق للموضوع المستشرق الوارد في مقدمة دواوين الشعراء الستة الجاهليين منتهيا إلى أن عددا قليلا من قصائد هؤلاء الشعراء يمكن التسليم بصحته، مع ملاحظة أن شكا لا يزال يلازم هذه القصائد الصحيحة في ترتيب ألفاظها وأبياتها، وتابع كثيرا من المستشرقين (الوارد) في موقفه الحذر من قبول كل ما يروى للجاهليين، ومنهم موير، وياسية وبروكلمان، وغيرهم.

وكان مرجليوث أكبر من أثار هذه القضية في كتاباته حيث ذهب إلى رفض الشعر الجاهلي جملة في مقاله بعنوان (أصول الشعر العربي) نشرها في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية سنة 1925 م، نراه يستهله بموقف القران من الشعر متحدثا عن بدء ضهوره ونشأته وآراءه وآراء القدماء في ذلك، ثم ينتقل بالحديث عن حفظه

وقد بنى رايه هذه على ضربين من الأدلة: أدلة خارجية، وأدلة داخلية، سنشير فيما يلي إلى نضرته هذه واهم أدلته الخارجية والداخلية بصورة موجزه:

الأدلة الخارجية:

1. ينفي أن تكون الرواية الشفوية هي التي حفظته ويقول: انه لم تكن هناك وسيله لحفظه سوى الكتابة وينفي كتابته في الجاهلية ليؤكد انه نظم في مرحله تاليه للقران الكريم.
2. ينفي أن تكون الرواية الشفوية هي التي حفظته، لان ذلك يستلزم وجود جماعه من الرواة مهنتهم الحفظ وهو يرفض ذلك.
3. يتطرق بعد ذلك إلى الحديث عن الرواة من علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين، فيذكر حمادا، وجنادا، وخلفا الأحمر، وأبا عمرو بن العلاء، والأصمعي وأبا عمرو الشيباني، وأبا إسحاق والمبرد، ثم أضاف إلى ذلك آراء هؤلاء الرواة والعلماء بعضهم في بعض فقال: إن هؤلاء العلماء لم يكن يوثق بعضهم بعضا، وقال ذلك ليزعم أن الوضع في هذا الشعر كان مستمرا.
4. لان الإسلام يجب ما قبله، فان ذم القران للشعر، كان عاملا مهما لنسيانه
5. ويقول مرجليوث: إنما في هذا الشعر الجاهلي لا يمثل الجاهليين الوثنيين ولا من تنصروا منهم، فأصحابه مسلمون لا يعرفون التثليث المسيحي ولا الأهلة المتعددة، إنما يعرفون التوحيد والقصص القرآني وما فيه من كلمات دينية إسلامية مثل الحياة الدنيا، ويوم القيامة، والحساب، وبعض صفات الله.
6. وينتقل من ذلك اللغة ويلاحظ أنها لغة ذات وحده ظاهره وهي نفس لغة القران الكريم التي أشاعها في العرب، ويقول: ولو أن هذا الشعر كان صحيحا لمثل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية، كما مثل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية في الجنوب.
7. ثم ينتقل إلى موضوعات القصائد، ولعله يريد أن يستنتج منه أن اتفاق القصائد الجاهلية في التطرق لموضوعات واحده بعينها تتكرر في كل قصيده، امر يدل على أنها نظمت بعد نزول القران لا قبله.

هب كثير من المستشرقين يردون عليه، مثل جيمس لايل الذي احتج في مقدمته بالمفضليات، بان من وضعوا هذا الشعر – على فرض التسليم، كانوا يحاكون نماذج سابقه وتقاليد أدبيه موروثة قلدوها وحاكوها، وهذه المحاكاة تدل على وجود --------

هذه المحاكاة، إذا لابد من أن هناك شعر جاهلي عرفه الإسلاميون وحاكوه، وحقا دخله انتحال على يد أمثال ---------------------------------- صحيح، ينبغي أن نهتدي إلى معرفته بالرواية الوثيقة وبصفات الراوية الشخصية والأسلوبية المميزة. ويتحدث لايل عن صحة الشعر الجاهلي فيقول انه (من الطبيعي أن يختلف الناس فيه، إذ من المؤكد أن شعر الأعراب في الجاهلية لم ينتقل بالكتابة، بل بالرواية، كانت القبائل تحفظ القصائد التي تسجل انتصاراتها وترويها جيلا بعد جيل، وكان الراوي عمله أن يحتفظ بمدخور الشعر الذي تعييه ذاكرته، لذلك ليس من الغريب أن تنتقل القصائد بهذه الطريقة قرنين أو ثلاثة).

ولا يزال المستشرقون إلى اليوم يختلفون في قبول الشعر بحذر والشك فيه شكا معتدلا أو متطرفا وممن ادلى بدلوه منهم بلا شير في كتابه تاريخ الأدب العربي وبينما يحاول الاعتدال أحيانا نراه يهجم هجوما عنيفا ومن الوان هجومه قوله (نحن نجد في النصوص المذكورة أن الشعراء أي كان عصرهم أو قبائلهم يستعملون لغة موحده منزهه من أي اثر لهجي خاضعه لقواعد تركيبيه، وفي مجملها هي قواعد نحاة البصرة ولا شك أن القصائد الجاهلية جردت بتأثير الرواة الكبار عن كثير من الظواهر اللهجية كما أن التثبيت الكتابي بدورة أتم توحيد اللغة وحتى الأسلوب) ويقول (كل شيء يدعونا إلى الاعتقاد بان كبار الرواة ومعهم علماء العراق قد اجروا في الشعر القديم إصلاحات ذات صبغه جمالية) وواضحأ بلا شير يزعم أن الأصول الصحيحة للشعر الجاهلي اختلطت بالنماذج والقصائد الموضوعة اختلاطا يتعذر معه أن تميز، وان نحاة ورواة البصرة عدلوا في هذه الأصول بما يتماشى مع هذه القواعد.

أدباء العرب المتحدثين وقضية الانتحال في الشعر الجاهلي:

كان أول من بحث هذا الموضوع من أدباء العرب المعاصرين هو مصطفى صادق الرافعي في كتابه (تاريخ آداب العرب) الذي صدر في سنة 1911 م، وبواعث وضع الشعر عند مصطفى صادق الرافعي كما يأتي:

1. تكثر القبائل لتعتاض مما فقدته بعد أن راجعت الرواية وخاصه القبائل التي قلت وقائعها وأشعارها وكانت أولاها قبيلة قريش.
2. شعر الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو خاصة عند الكوفيين.
3. الشواهد التي كان بعض المعتزلة والمتكلمين يولدونها للاستشهاد بها على مذاهبهم.
4. الشواهد على الأخبار، لأنه لما كثر القصاصون واهل الأخبار اضطروا أن ينحلوا الشعر لما يلفقونه من الأساطير.
5. الاتساع في الرواية، كان الرواة يتسعون في رواياتهم بسبب السباق بينهم فكانوا يضعون على فحول الشعراء قصائد لم يقولوها، ويزيدون في قصائدهم.

وهكذا نرى أن الرافعي قد دار مع القدماء من العرب وروى ما قاله القدماء وتابع ابن سلام في آراءه دون غلوا أو شطط ولم يجعل من الخبر الواحد قاعدة عامه ولا من الحالات الفردية نظريه شاملة.

 أما عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، فألف كتابه (في الشعر الجاهلي) سنة 1926 م، فأثار ضجة كبيرة، لما فيه من آراء جريئة يتعرض بعضها للدين، ثم حذف منه وزاد فيه ووسعه فأصدره سنه 1927 م بعنوان (في الأدب الجاهلي) وقد اخذ طه حسين أكثر مادته من روايات ابن سلام واستنتاجات وآراء مرجليوث، وتوسع فيها حتى وصل إلى أن قال : (إن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء وإنما هي منتحله بعد ظهور الإسلام فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم اكثر مما تمثل حياة الجاهلين وأكاد لا اشك في أن ما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدا ولا يمثل شيئا ولا يدل على شيء ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي وقد قسم طه حسين بحثه إلى ثلاث أقسام : الدوافع والأسباب التي تدفعه إلى الشك في الشعر الجاهلي وأسباب الوضع والانتحال في الشعر الجاهلي، ثم درس فريقا من الشعراء وشك في نسبة الشعر اليه.

 دوافع الشك عند طه حسين:

تحدث طه حسين عن دوافع شكه وقال: (فهذا الأدب الذي رأينا انه لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين، بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الجاهلي الذي يزعم الرواة انه قيل فيه.

دوافع الشك عنده كما يأتي:

**1- الحياة الدينية:** فرأى أن هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين يظهر لنا حياة غامضه جافة بريئة أو كالبريئة من الشعور الديني القوي والعاطفة الدينية المتسلطة على النفس والمسيطرة على الحياة العملية، وأما القران فيمثل لنا حياة دينية قوية تدعوا أهلها إلى أن يجادلوا عنها ما وسعهم الجدال.

**2- الحياة العقلية:** الشعر الجاهلي يمثل العرب الجاهليين بالجهل والغباوة والغلظة والخشونة بينما يمثلهم القران أصحاب علم وذكاء وأصحاب عواطف رقيقة وعيش فيه لين ونعمة.

**3- الحياة السياسية:** ويقول إن حياتهم السياسية لا تتضح في شعرهم الجاهلي مع انهم كانوا على اتصال بمن حولهم كم الأمم مما يوضحه القران الكريم في سورة الروم، إذ يعرض علينا العرب شيعتين، شيعة تنصر للروم وشيعة تنصر للفرس.

**4- الحياة الاقتصادية:** يقول إن الشعر الجاهلي لا يتحدث عن حياتهم الاقتصادية بينما يمثل لنا القران الكريم العرب طائفتين: طائفة الأغنياء المستأثرين بالثروة، وطائفة الفقراء المعدمين وكل ما في الشعر الجاهلي هو أن العرب أجواد كرام ولكن القران يلح في ذم البخل والبخلاء.

**5- الحياة الاجتماعية:** إن الشعر الجاهلي لا يعني إلا بحياة الصحراء والبادية وهو لا يعني بها إلا من نواح لا تمثلها تمثيلا تاما، فاذا عرض لحياة المدن، فهو يمسها مسا رقيقا ولا يتغلغل في أعماقها وما هكذا نعرف شعر الإسلام ويقول: أنا لا نكاد نجد في الشعر الجاهلي ذكر البحر أو الإشارة اليه.

**6- لغة الشعر واللهجات:** ولاحظ أن الشعر الجاهلي لا يصور اللغتين الشائعتين في الجزيرة: لغة الحميريين الجنوبية ولغة العدنانيين الشمالية، بل هو يضيف إلى الجنوبيين أشعارا بلغة الشماليين، ثم وقف عند لهجات الشماليين التي تمثلها قراءات القران الكريم ولاحظ أن الشعر الجاهلي لا يمثلها.

الرد على أدلة طه حسين:

1- قياس الشعر الجاهلي في إبراز الحياة الدينية للجاهليين على القران الكريم مردود، لان القران كتاب ديني يريد أن يجمع العرب على الإسلام، فطبيعي أن يعرض لدياناتهم، ويناقشها بخلاف الشعر، ولكن مع ذلك فأن في كتاب (الأصنام) لابن الكلبي ذخيرة كبيرة، من الشعر تصور حياتهم الوثنية على خلاف ما يزعمه طه حسين.

2- إن جمهور العرب كانوا بدوا ولم يتحولوا إلى طور فكري ينتظره طه حسين، وفي الحقيقة نرى حياتهم العقلية الفطرية في شعرهم.

3- شعر الصعاليك طافح بما يصور النضال بين الأغنياء والفقراء، وأيضا فان شعراءهم إذا كانوا قد أكثروا في مدحهم وفخرهم ذكر الكرم، أكثروا في هجائهم من ذكر البخل وشح النفس.

4- إن لغة القران الفصحى كانت سائدة في الجاهلية قبل الإسلام، وان الشعراء منذ فاتحة هذا العصر كانوا ينظمون بها وإنها كانت لغة قريش السائدة.

5- وعلى فرض أن الشعور الذي وصلنا موضوع، فان الوضاع كانوا يحاكون نماذج سابقة وتقاليد أدبية موروثة قلدوها وحاكوها، ونفس هذه المحاكاة تدل على وجود أصل يحاكونه.

أسباب الانتحال عند طه حسين

وتحدث طه حسين عن أسباب الانتحال وأرجعها إلى ما يأتي:

**1- السياسة:** ويريد بها العصبية القبلية مثل ما كان بين قريش والأنصار من عداء وما كان بين القبائل من أحقاد قديمة، ومع ذلك لم يستشهد بشعر جاهلي بل استشهد بشعر إسلامي قيل بعد الإسلام، وهكذا ما أشار اليه ابن سلام كما قلنا سابقا.

**2- الدين:** وتطرق إلى الشعر الذي قيل قبل البعثة تبشيرا بالنبي صلى الله عليه واله وسلم أو ما جاء عند المفسرين من ذكر الأمم السابقة، وتشكك فيما أضيف إلى شعراء اليهود والنصارى من أشعار وكذلك ما أضيف إلى عدي بن ربد العبادي، وهذا أيضا ما رفضه ابن سلام ولم يكن القدماء في غفلة عنها.

**3- القصص:** وتحدث عن القصص وما كانوا يضعون من الشعر لتزيين القصص والأخبار، وقد نبه ابن سلام على ذلك عند ابن إسحاق وإضرابه.

**4- الشعوبية:** وتحدث عن الخصومة بين العرب والموالي، وان هؤلاء الشعوبيين قد نحلوا أخبارا وأشعارا وأضافوها إلى الجاهليين والإسلاميين وكذلك فعل خصومهم، يقول في ذلك: (وكانت الشعوبية تنحل من الشعر ما فيه عيب للعرب وغض منهم وكان خصوم الشعوبية ينحلون من الشعر ما فيه ذود عن العرب ورفع لأقدارهم.

**5- الرواة:** وتحدث عن فساد مروءة بعض الرواة مثل حماد وخلف الأحمر وأبي عمرو الشيباني وانهم كانوا ينحلون الأشعار ويعبثون بالشعر، وتحدث أيضا عن طائفة أخرى اتخذت الرواية مكسبا وهم الأعراب الذين كان يذهب رواة الأمصار يسألونهم عن الشعر والغريب، وقد قلنا سابقا أن القدماء كانوا لهؤلاء الرواة بالمرصاد.

ثم تناول في القسم الثالث في كتابه الشك في شعر مجموعة من شعراء الجاهلية مثل امرئ القيس، وعلقمة الفحل، وعبيد بن الأبرص، وعمرو بن قميئة، والمهلهل، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وطرفة، والمتلمس، والأعشى، ثم تحدث عن الشعر المضري.

 وفي الحقيقة كان طه حسين يردد ما نص عليه العلماء السابقون من قضايا ويريد أن يتسع لها لنقض الشعر الجاهلي جميعه وهي إنما تنقض جوانب منه، وينبغي أن نقف عندها، ولا نذهب مذهب التعميم لان الشعر الجاهلي مع انه فيه موضوع كثير، غير أن ذلك لم يكن غائبا عن القدماء، فقد عرضوه على نقد داخلي وخارجي دقيق، فكان ينبغي أن لا يبالغ المحدثين من أمثال مرجليوث وطه حسين في الشك فيه مبالغة تنتهي إلى رفضه، إنما شك حقا فيما تشك فيه القدماء وترفضه، وأما ما وثقوه وراه إثباتهم من مثل أبي عمرو بن العلاء والمفضل الظبي والأصمعي وأبي زيد، فحري أن نقبله ما داموا قد اجمعوا على صحته**.**